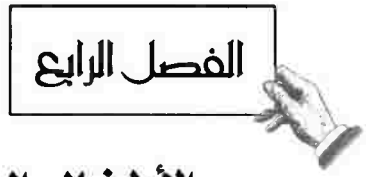

الأطفال الذين يقاومون التعلم

Children who are resistant to learning

هذه مجموعة محيرة من الأطفال الذين ليس لديهم حالات عجز تعيقهم عن التعلم، أو فقدوا قدراتهم لاكتساب التعلم. إنهم يبدون مقاومين للتعلم كما أنهم يستطيعون التعلم، ولكنهم لا يرغبون . يبدو الهدف وراء سلوكهم بعيداً عن تحقيق النجاح . تبدو نواياهم إبعاد الكبار من الإخوة والأخوات وأحياناً من زملائهم الأطفال . إن مطالبهم من أجل شد الانتباه قد تمنع الآخرين من التعلم . إذا أخذ الطفل دور مهرج حجرة الدراسة ، فإن البعض من زملائه سوف يستجيبون له . قد تأتى ردود أفعال الأكثرية بصورة مختلفة إذا كان ، فتوة ، أو يتصرف على نحو شاذ . ولكن معظم الأطفال متسامحون كل منهم مع الآخر ، ويصبحون فى حالة استياء فقط إذا كانت أفعال أحد الأطفال تمنعهم بصورة مستمرة من تحقيق التقدم الذى يرغبونه . توجه معظم طاقة الطفل المقاوم إلى منع نفسه من الامتثال والتطابق بصورة عامة .

تقرر الأسر على نحو متكرر أن هؤلاء الأطفال يرفضون الاستجابة لمواثيق سلوك العائلة (لا يشير هذا إلى بيانات المراهقين العادية حول الامتثال) إنهم يبدون فى حالة غضب ، حزن أو كبت ، وبعض الباحثين يضعونهم من زاوية الانفعالات ، فى مجموعة تحت عنوان غير الموجهين، أو المنظمين. تبقى سلوكيات بعض هذه المجموعة مرتبكة ومربكة فى المدرسة . يوجد شعور لدى الباحثين بأن معظم هؤلاء الأطفال كانوا عاجزين عن بناء ذاكرة عن شخصيات التعلق ، والتى تعتبر متاحة لهم انفعالياً ، على الرغم من أن هذه الشخصيات قد تستخدم معهم سياسة العصا والجزرة التى لا يصلون إليها . يفترض أحد الباحثين أن الكثير من آباء هذه الفئة من الأطفال قد عانوا من حالات فقد أعزاء لديهم أو صدمات بقيت بدون حلول . إذا أدرك هؤلاء الأطفال بدون وعى أن شخصية التعلق غير قادرة

على الكفاح وتَحّدى ظروفها ، فقد يتبنون هم أنفسهم دور الراعى بما يعنى عكس الأدوار بين الآباء والأبناء (*) .

قد يهدد الآباء بسحب حبهم، أو حتى التخلى عن الطفل ؛ قد يتم التعبير عن هذا الأمر بصورة مباشرة أو غير مباشرة . قد تتمثل استجابة الأطفال بالسيطرة على هذه الحالة من التشويش بأن يتبنوا هم أنفسهم هذه الطريقة فى السلوك ، أو بتطوير التصلب والعناد فى التفكير . من المحتمل أن هاتين الطريقتين فى السلوك تستوليان على تشكيل أهداف الطفل واستمتاعه بالتصرفات الهزيلة . إذا سيطروا على الحالة يصبح السلوك الاستكشافى مقيدًا. إنهم يعطون أنفسهم ترخيصا بأن يعلنوا أفكار كل ما يعرفونه . أولئك الذين يضعون أحاسيسهم وأفعالهم تحت السيطرة الصارمة قد يصبحون مستغرقين (حالة من الوسوسة) فى مهاراتهم الدراسية ، ولكنهم يتفادون الاتصال عن قرب مع المدرسين والزملاء .

لقد كشفت بعض الدراسات عن أن الأطفال الذين يقامون التعلم ينظرون إلى الآباء والمدرسين على أنهم ألغاز أو أشخاص غامضة . إنهم يبدون كما لو كانوا قد وقعوا فى مصيدة، حيث من المستحيل عليهم أن يؤدوا مهامهم على المستوى الانفعالى والفكرى لأعمارهم، وبما يتفق مع قدراتهم . يبدو أن هناك ارتباطًا بين المأزق الذى يعيشونه وبين الرسائل المربكة التى يتلقونها باستمرار من آبائهم والتى يمكن أن تؤدى إلى عدم تأكد حول أى سلوك للبحث عن هدف . يمكن أن يتعرض الأطفال إلى تثبيط أو تقليص استجاباتهم بفعل ما يقوم به آباؤهم من تشويه سمعة أطفالهم أو التهكم عليهم ، بل أكثر من ذلك بالكراهية النشيطة لهم . لقد أظهرت الدراسات أن آباء أطفال آخرين فى هذه المجموعة لديهم حزن عميق داخلهم أو أحاسيس متصارعة لم تحل حول شخصيات « التعلق » التى مرت بهم . نعطى المثالين التاليين فى إيجاز شديد : سيطرت وفاة الجدة للأم على حياة أسرة «نجيب». إنهم يشعرون بأن روحها أو شبحها يهيمن على أفراد الأسرة ولو أنها غير خطيرة. كان يعتقد أن حضورها (كروح أو كشبح) له تأثير عكسى على تعلم الطفلة الوسطى. استمر هذا الوضع ، إلى أن تمت مساعدة أم الطفلة الوسطى على هجر أو الإقلاع عن فكرة الوجود الأثيرى (غير المادى) للجدة ، حيث استطاعت الطفلة أن تعطى نفسها إذناً بأن تبدأ عملية التعلم بحيوية ونشاط .

(*) يتناول الفصل الثانى موضوع "شخصية التعلق بشيء من التفصيل".

لقد سبق أن ذكرنا فى الفصل السابق الأم التى تحضر أسبوعياً إلى حجرة الانتظار فى المدرسة حاملة معها حقائب الأكل لتغذية طفلها ، الجيد ، وليس «السيئ» إنها رفضت الحداد أو قبول العزاء فى فقد زوجها السابق (الذى كان قد تزوج) ، واستمرت حالة الغضب معه بعد وفاته . لذلك استمرت حالة الغضب هذه وتحولت إلى استياء من زوجها السابق وامتدت إلى كراهية لابنها الأصغر. وبالمقابل كان سلوك الطفل الأصغر فى المدرسة بطريقة مربكة ومرتبكة إلى حد أنه لم يستطع أداء أية مهمة بنجاح.

عندما يكون الآباء أنفسهم مقاومين للتغيير ، قد لا يستطع الأطفال أن يسمحوا لأنفسهم أن يستفيدوا من أى تدخل متخصص كما هو الحال فى « العلاج التعليمى ».

يبدو أنه من الممكن الربط بين الشروع فى المقاومة بالمرحلة التى سوف يكون الطفل فى حالة تطوير طبيعى بوعيه بآراء وحاجات الآخرين ، ذلك الوقت عندما يكتشف ذهنه الذاتى كشيء متميز عن ذلك الخاص بالآخرين ، وخاصة شخص «التعلق». هذه هى بداية المرحلة الذى يبدأ عندها الطفل فهم معنى «النوايا المشتركة». يمكن أن يطلق على استمرار هذه العملية كما يرى البعض «التوفيق أو الملاءمة الوجدانية والتى تقترب كثيراً من مفهوم الاستجابة العاكسة أو المتعاطفة . سوف توضح الأمثلة التالية مفهوم مقاومة التعلم» .

أشـــرف :

كان أشرف ١٠ سنوات . إنه الابن الأكبر بين ثلاثة أطفال فى أسرة متماسكة. ولأن الأب كان يأتى إلى المنزل فى نهايات الأسبوع فقط ، كان المتوقع أن يكون أشرف هو رجل البيت فى حالة غياب والده ، بالإضافة إلى تحقيق برنامج على عجل لأنشطة ما بعد المدرسة . عندما لم يكن يفترض هذه الأدوار المتعلقة بالكبار، فقد تصرف كما يتصرف الفرد المهتز الجبان، وكان ينتابه الكثير من نوبات الغضب التى كان من الصعب أن يتحملها كل من البيت والمدرسة. على الرغم من أنه لم يكن لديه أية حالات عجز يمكن رؤيتها عن التعلم ، فقد كان غير قادر على إنجاز أية مهمة مدرسية بصورة صحيحة ، كان عمله يقدم على نحو ضعيف ، وانتباهه شاردًا باستمرار . كان يقضى معظم وقته فى عالم خيالى يشغل فيه رتبة لافتة كرياضى على المستوى العالمى .

اقترح مدرس أشرف عرضه على جهاز العلاج التعليمى بالمدرسة، وكان تقرير المدرس أن أشرف أصبح حزيناً بشكل متزايد، ومنعزلاً فى الفصل . كان رد الفعل المبدئى من اختصاصى العلاج التعليمى حول أشرف:

«عندما وصل من أجل جلسته الأولى كانت سترته مفتوحة إلى أعلى حتى أنفه وقميصه خارج بنطلونه . كان من الصعب أن ترى عينيه . كانت أطرافه نحيفة بصورة غريبة . كانت حركاته غير مستقرة ومتشنجة . لقد صعد درجات السلالم واحدة واحدة ، على الرغم من أنه يعتبر نفسه رياضياً مرموقاً . ظهر أشرف فى حالة خوف ، وحذر ، وفى موقف دفاعى شرس».

لقد ظل يناضل من أجل مقاومة كل الجهود لمساعدته فى العلاج ؛ كل طاقاته تم استهلاكها فى دفاعاته . على الرغم من أنه كان من الممكن لاختصاصية العلاج أن تطور بعض السلوك التفاعلى معه فى الجلسات ، لم تكن مطلقاً مواقفه لها معنى . لقد اختار باستمرار أن ينسحب ، أو يروى قصصاً، أو يلعب مباريات حول فكرة أساسية واحدة – الرياضة . قد يبدو هذا بصورة مصطنعة لا أن يكون انهماكاً صحياً لطفل فى العاشرة من عمره، ولكن كل رياضة قد اختارها كانت تمثل غطاء حماية : كرة القدم ، الرماية، الجرى .

كانت قدرة أشرف على إقامة أية علاقة « تعلق » قد تحطمت ، وإذا كان قادراً على أن يجرى اتصالاً مع أحاسيسه التى سوف تتفجر فقط فيما يمكن أن يوصف بأنه تيار بدائى الذى يثور من أعماق فى داخله .

تبين عجز أشرف فى التعبير عن مشاعره بطريقة لائقة عندما عادت اختصاصية العلاج التعليمى من حالة مرضية .

«عند عودتى قدم لى أشرف التحية بأدب واضح (قالت أمه فى اللقاء الأول مع الأسرة: إنه دائماً يقول ما يريد أن يسمعه الناس) ، ولكنه يعبر عن عدم رضائه بإخراج أصوات كريهة» .

«إننى أفكر كثيراً حول الغضب الذى انتابه عندما كنت بعيدة عنه . إنه كان يجرى اتصالاً بالعين على نحو غير متكرر ، يومئ برأسه حزناً ، لقد استرخى وبدا العمل أكثر ملاءمة » .

تواصل اختصاصية العلاج حديثها :

«بعد مضى سنتين ، أثبتت عملية إنهاء العلاج أنها الجزء الأكثر أهمية فى العمل. كان أشرف قادراً على أن يسمح لنفسه بمواجهة بعض الحقائق التى كان لا يعترف بها من قبل. بدأ يتحدث عن أحاسيس الرياضيين عندما تسير الأمور فى غير صالحهم . كيف أنه كان عليهم أن يحتفظوا بمشاعرهم لأنفسهم ، لكى يكونوا رياضيين جيدين . لقد كنا قادرين على أن ندرس -كمجموعة- سلوك اللاعبين الأكثر تعبيراً عن أدائهم وعلاقاتهم ، وتعبيرهم عن أحاسيسهم . كان أشرف قادراً على أن يشرك الآخرين فى الصعوبات التى مر بها عندما كان يلعب مباريات الفريق بسبب الألم والغضب الشديد الذى ينتابه إذا لم يكن أداؤه متميزاً . لقد كان قادراً على وصف كيف أنه لم يستطع الثقة بأعضاء فريقه بدرجة كافية لكى يمرر الكرة إليهم. عندما انتهت اختصاصية العلاج من برنامجها العلاجى ، كان يمكن أن يرى أشرف وهو يقفز درجات السلم ، مرتدياً البنطلونات القصيرة والقمصان « تى شيرت » لحضور جلسات ما بعد البرنامج ، وقد ترك سترته التى كانت تصل إلى أذنيه فى البيت».

ولكن التغيرات التى حدثت فى المدرسة كانت محدودة جدًا ، على الرغم من أن أفراد أسرة أشرف يقولون: إنه كان أكثر سعادة ، وإن سلوكه أكثر اتزاناً فى البيت.

موسى :

كان موسى فى عمر ٦ سنوات ، وخلفيته تختلف عن تلك الخاصة بأشرف . لقد كان متعلماً طبيعياً ، ولكنه كان لا يستطيع أن يسمح لنفسه بالعمل . لقد عانى من حالات رفض متكررة فى حياته القصيرة ، وكان فى بيت للحضانة على مدى سنتين عندما دخل وحدة الطب النفسى للأطفال ، حيث بدأ العلاج التعليمى . يبدو مؤكداً أن والدته قد استطاعت أن توفر له بداية طيبة للحياة على الرغم من الارتباك والصراع بينها وبين والد الطفل . لقد كان ولداً صغيرًا وفيه بعض الحيوية، ولقد أظهر دائماً اهتماماً بالأشياء ، ولكن بمجرد أن يدرك ما كان يحدث ، فإنه يحطم النشاط أو يفسد المباراة التى كان يلعبها. إنه كان يقبل على ما يبدو أنها مباراة هادئة وسعيدة مع حيوانات المزرعة التى يخرجها من صندوقه (كانت الأسرة التى تتولى تربيته – الأم والأب بالتربية – أسرة ريفية) ، ثم يفسد اللعبة مع حالة يأس

تصعب ملاحظتها ، إذا لم تذكر التجربة . عندما كان موسى يتلقى علاجة التعليمى على مدى ستة أشهر ، انهار وضعه فى أسرته بالتربية على نحو مفاجئ . كان على موسى حينئذ أن يلحق بأجداده مع أربعة من إخوته وأخواته الآخرين . لقد بذل موظفو الوحدة العلاجية والاختصاصيون الاجتماعيون المساعدة والتدعيم الكثيفين لجعل الوضع الأخير ممكناً .

يصف اختصاصى العلاج التعليمى الجلسات فى ذلك الوقت :

استناداً إلى اضطرابات الصدمة التى زلزلت عالم موسى مرة أخرى، ومن ثم لم يفتح صندوق لعبه المملوء بالحيوانات . بدلاً من ذلك ، اتجهت مبارياته إلى العنف مع الطائرات الورقية . كان سلوكه غير مستقر بصورة مخيفة ، ويقذف طائراته حول الحجرة فى يأس لافت . أحياناً كان يلعب بمفرده ، وأحياناً يشركنى معه فى صراع الكلاب . كل ما استطعت أن أفعله التأكيد له بأن ذلك الوقت ملكه يستخدمه كيفما شاء . لقد قبلت وتعاطفت مع تأزمه ، بينما كنت أحاول توفير المساحة اللازمة حيث يمكنه التعبير عن أحاسيسه ، على أن أحافظ بحرص شديد على حدود الأمان : الوقت والمكان.

فيما بعد أقلع عن استخدام الطائرات الورقية وبدأ يدور حول نفسه بسرعة ، يتسلق الأثاث من قطعة إلى أخرى ومن النادر أن تلمس قدماه الأرض . لقد كنت على دراية تامة بنقص المحتوى التعليمى فى جلساتنا ، ولكننى قررت أن أقبل سلوكه إلى أن يتحول فى النهاية إلى الآلة الكاتبة . لقد اعتاد أن يكتب باستخدام لوحة المفاتيح حروفاً متتابعة مرات ومرات . لقد استخدم قضيب المسافات على نحو متكرر ولقد فكرت بعمق فى استخدامه للمسافات . يبدو أن هذا التعليق حرره إلى الحركة مرة أخرى . وبدأ يحرك الأثاث حول الحجرة فى كل جلسة ليصنع فى كل مرة مكاناً يخلو فيه بنفسه . لاحظت أنه يعتنى كثيراً بأن يشتمل هذا المكان المختار على سرير ، وموقد ، ومطبخ –حيث يستطيع أن يعد طعامه – وحمام . لقد فكرت كثيراً فى حاجته إلى أن ينشئ لنفسه بيتاً . لقد قال بالفعل: « هذا بيتى » . لقد تبين أنه يستخدم الوقت ليطمئن نفسه بأنه يستطيع أن يعتنى بنفسه .

«بدأ يطلب منى أن أقرأ له قصة فى خلوته الخاصة (بيته) كل أسبوع . كانت حكاياتى تدور حول حيوانات الغابة وما بينها من صداقات أو صراعات . لقد

استطاع الفأر الصغير أن يغلب بذكائه ملك الغابة (الأسد) ، عندما قال الفأر للأسد: إذا نظرت فى بركة المياه القريبة سوف تجد أسداً آخر يريد أن يستولى على مملكتك (الغابة) ، وعندما نظر الأسد إلى البركة ووجد صورته على سطح المياه، فاعتبرها الأسد الآخر وألقى بنفسه فى البركة فغرق الأسد بحيلة الفأر . شعرت أن موسى يناضل ليشتق الراحة من هذه القصة كطريقة للتصالح مع الكثير من مصاعبه . بدأ يلبس قناعًا وذيل فأر عندما كان يجلس لسماع القصة ، قائلاً بأنه الفأر وأنا أسد الغابة .

"كان التقدم بطيئاً ، واجتاز موسى عندما صنع أكواماً من الحلوى يضعها فى ثقوب ثم يبعثرها هنا وهناك ويأكل بعضها . لقد فتح صندوقه كاملاً وأخرج منه لعبه المفضلة ، يحاول إصلاح بعضها ، ويضع فيه الحلوى ، وصفحات من الورق، كما لو كانت حياته تعتمد عليه . صنع من بعض اللعب كراتٍ وبدأ يلعب معى . إننى لم أتوقف عن التأمل والتفكير بعمق حول الاستخدامات التى يكتشفها .

" لقد بدأ إدراكى يزداد بأنه لا يفتح صندوقه إلا ليصلح فيه شيئاً أو ليضع شيئاً" . إنه يبدو كما لو كان يحتوى على كل تلك الأشياء التى تذكره بحياته الماضية مع آبائه المزارعين الذين تولوا تربيته . بدأت أناضل من أجل الحصول على طرق لإدارة هذه الحالة ، وأن أشرك موسى مع أفكارى حول مدى الآلام التى تسببها له الذكريات . إنه لم يوافق ولم يعترض ، ولكنه وضع صندوقه على الأرض ، برغم أنه يوفر مساحة على الطاولة لكى نلعب معاً مباراة . بدلاً من ذلك ، بدأ يصنع "بيتاً" الأول منذ وقت مضى . وقف موسى على الصندوق . قررت أن أعطيه إذناً لكى يفتحه ، مؤكداً له سلامته والمحافظة عليه إذا فتحه . فى هذه اللحظة ، أصبح متوحشاً جداً وأخذ يقفز فوق الصندوق (كان مصنوعاً من كرتون شديد الصلابة والمتانة) مرات عديدة . أخيراً ، هدأت ثورته بعض الشيء ، وقلت له إننى أعتقد أن هذا يكفى . بهدوء شديد بدأ يرفع غطاء الصندوق الذى أصابه العطب وأخرج محتوياته الواحدة بعد الأخرى . جمعنا الأشياء معاً ، وبقى الصندوق ، ووضعتها فى حقيبة كبيرة ، وأغلقت عليها دولابى الخاص لأن الجلسة انتهت.

"فى الأسبوع التالى أصلحت أنا وموسى الصندوق ، وأصبح على استعداد لكى يعود إلى النمط العادى جداً فى جلسة " العلاج التعليمى " . إنه يردد قصصه، يلعب مع سياراته وحيواناته ، يلعب مباريات ورقية ، وينصت إلى مجموعة متنوعة من

القصص . لقد وجد أجداده أنه أصبح أكثر سهولة فى رعايته والتعامل معه ، على الرغم من أنه لا يزال سمجاً ، ثقيل الظل فى البيت ، وفى المدرسة يحقق تقدماً تحصيلياً جيداً . استمرت فترة العلاج التعليمى سنتين ونصفاً . ومن المحتمل أنه للمرة الأولى فى حياة موسى أن يعد للاعتماد على نفسه . أثناء هذه العملية راجع نفسه متذكراً حالات الانفصال نتيجة الصدمات القاسية التى مر بها . تضمنت الجلسة الأخيرة سرد قصة الفأر وأسد الغابة ، بناء على طلبه» .

يشير الباحثون فى دراسات الحالات الاجتماعية والسلوكية إلى الوقائع والأحداث السابقة، أو ما يطلق عليه backdating بمعنى أنهم يؤرخون بتاريخ سابق ، وهذا المفهوم عكس updating أى الوقائع والأحداث الجارية . تظهر بعض الدراسات أن ملاحظاتها حول الأطفال الذين أُسيء توجيههم أن تجاربهم استناداً إلى الوقائع والأحداث السابقة أدت إلى تشكيل نماذجهم العاملة الداخلية ، والتى تدعم سلوكياتهم غير المرضية . يبدو أنهم يعيشون فى حالة ذهنية متأرجحة ومترددة ، يلمحون فيها بصيصاً من إمكانية التغيير حيث لا يوجد أمل (استجابة إلى التغيرات السريعة فى سلوك الكبار) . إنهم يعيشون حالة من الصراع تتجاذبهم قوتان متضادتان: إحداهما تتمثل فى ضغطهم القوى المتواصل فى اتجاه تنمية صحيحة ، والأخرى على نفس المستوى القوى تتمثل فى الحاجة إلى أفكار القوى الأولى، التى تسعى إلى التهميش والتقليل من شأن أى شيء يفعلونه . إنهم يتلقون رسائل مربكة من الأفراد المهيمنين بالنسبة لهم . الكثير من هؤلاء الأطفال يصبحون مصدرًا للاضطراب والتشتت فى حجرة الدراسة : لا يستطيعون تحمل المديح ، يفسدون عملهم وتفاعلاتهم الاجتماعية مع الكبار والأطفال على السواء ، ويؤكدون أنهم غير محبوبين .

يوجد طالبان أتيا داخل إطار فئة متميزة من الذكاء ، ومن طبقة متوسطة ، ذات خلفيات جيدة فى التعليم وتناول المشكلات مع التحكم فى سلوكياتهما وأذهانهما الذاتية، تصرف كلاهما بطريقة غير مستقرة فى حجرة الدراسة ، يحدثون اضطرابات وتشتتاً ، وذلك من خلال أسئلتهم المتواصلة عن الزملاء والمدرسين . فى البيت أصبحا أكثر إثارة فى أوقات أى حدث اجتماعى . يصف هذان الطفلان أذهانهما بأنها قوية جداً وخارج نطاق السيطرة . الولد الأصغر ، بعد أن بذل جهوداً مضنية فى الكتابة ، فجأة حطم ما قام به من عمل . وصف ذهنه بعد ذلك ، بأنه

«يدور فى رأسه بسرعة كبيرة محدثاً أزيزاً ، وفى خطوط صفراء » . وصف الولد الأكبر ذهنه بأنه (أيضاً وهو فى حالة غضب وأثناء خربشته على بعض الكلمات التى أتم كتابتها) يندفع بعنف إلى ثقب أسود ، ذلك الموضوع الذى تحدث عنه بمعرفة لافتة .

كلا الولدين كانا بدون شك قادرين ، ولكن كان يبدو أن معظم طاقتهما الانفعالية تبذل فى غير العملية التعليمية ، بينما كانت طاقتهما الفكرية تأخذ اتجاهين: الأول لملء المساحة والوقت الخاص بهما وبالآخرين بكلام سريع عن مشاريعها الخيالية، غالباً مع قاعدة علمية . والثانى لملاحقة ما يترتب على حالات الانحراف والشرود المعقدة التى تحول بينهما وبين إنجاز أى مهمة . وجد الكبار أنهما أصبحا محاصرين داخل إطار للتآمر على هذه المتطلبات .

استناداً إلى هذه الأدلة الواقعية ، تظهر هذه المجموعة الصغيرة من الأطفال على فترات متكررة كم هم غير آمنين ، مضطربين ، منحرفين عن الطريق السوىّ فى سلوك "التعلق " الذى يعيشونه . إنهم أطفال فى حاجة ماسة إلى البناء فى حياتهم – إنهم يقاومون بشدة موقف التعلم الرسمى ، ولكنهم يبدون اهتمامًا يصل إلى حد الإفراط فى الجهات العلاجية . من المحتمل أن مثل هؤلاء الأطفال أوجدوا ترابطاً بين النتائج التجريبية وإمكانية أن تكون تصرفاتهم وثيقة الصلة بالسلوك البشرى . يذهل سلوكهم عادة الكبار والزملاء من خلال عنصر عدم الملاءمة الغريبة مع أعمارهم وأوضاعهم . إنهم يكونون غير واعين بمدى تأثير سلوكهم على الآخرين، وعندما يوضح أمام انتباههم يُبدون حالة من عدم التصديق يلجئون إلى حالات من الانفجار الانفعالى أو الدموع الصامتة كطريقة وحيدة أمامهم للتعبير عما يعتريهم من المخاوف ، الإحباط ، والكآبة عندما يرون أنه قد أسيئ فهمهم . هل سلوكهم المضطرب والمنحرف عن الطريق السوى ، وتقديم العمل يعتبر دفاعاً ضد لقد كررت الخطأ مرة أخرى » كما وصفت الأم سلوك ابنها ؟ أو هل سلوكهم عن غير وعى (وأحياناً عن وعى) نوع من العقاب تجاه الآخرين الذين كرروا معهم الخطأ مرة أخرى ، بمعنى ، أساءوا فهم انحراف الطفل عن الطريق السوى وعجزه عن التصرف بطريقة منظمة ، ومن ثم ، لم يدركوا حاجته الماسة إلى أن يفهم على وجه صحيح ؟ وبعبارة أخرى ، هل حرموا من التعليم بسبب غضبهم ؟ هل يعاقبون

بدون وعى أنفسهم لأنهم لم يسمحوا لأنفسهم باستخدام القدرة التى يعرفون أنهم يمتلكنها ؟ هل هذا لأنهم يشعرون أن الآخرون يدركونهم على أنهم أطفال سيئون ؟ هل يفعلون هذا لكى يؤكدوا إدراك آبائهم عنهم – تلك الصورة الذهنية التى يريدون تغييرها ؟ أو هل سلوكهم له علاقة بحاجتهم إلى معاقبة آبائهم لكراهيتهم بينما يظهرون عاطفة وجدانية وقبولاً لإخوتهم وأخواتهم ؟ العمل مع حالة الطفل الأخير رعوف تجعل أياً من هذه الاحتمالات ممكناً – أنظر هذه الحالة .

بالإضافة إلى وصف سلوك مثل هؤلاء الأطفال فى « التعلق » على أنه مضطرب ومنحرف عن الطريق السوى ، فإن الباحثين يستخدمون مصطلحًا آخر ، كلمة « مبهر » عند وصف سلوك طفل فى حالة إعادة توحده مع الذين قاموا برعايته ابتداء . يمكن فهم هذا على أنه شكل قاس من أشكال انتزاع النفس بعيداً عن سلوك تبناه الطفل دفاعاً ضد المزيد من الأذى .

لقد أشرنا إلى تبنى دور المهرج كشكل آخر من سلوك مقاومة التعلم الذى يحدث فى المدارس . يغضب هذا السلوك المدرسين ويمكن أن يبعد فى النهاية الزملاء ، ولكن ما يعنيه هذا بالنسبة للطفل من النادر فحصه . عادة يكون عقابه عزله عن الفصل أو المجموعة ، مما يؤكد مرة ثانية أنه غير مقبول ، لأنه لم يساعده أحد على فهم أن سلوكه فقط هو غير المقبول . إن هذا يبدو كما لو أن الأطفال الذين يتصرفون بهذه الطريقة لا يمكن أن يسمح لهم بوقت التعلم . هل يخشون من أن تخلى الأطفال عن عدم معرفتهم (كيفية استقبال الرسائل من الكلمات أو الأرقام) ، سوف يكتشفون بعض المعلومات التى يمكن أن تكون أكثر صعوبة فى فهمها أو هضمها ؟

الذى يهمنا هو التأكيد على وجود أنواع أكثر خطورة من عدم المعرفة . يقول أحد الباحثين : « عندما تعرف ما لا يفترض أن تعرفه ، وتحس بما لا يفترض أن تحس به ، فإن هذا يعطى مؤشراً واضحاً بنوع الأسرار التى نعتقد أن بعض الأطفال فى هذا التصنيف قد يكون عليهم الاحتفاظ بها . يوجد دليل من مصادر عديدة بأن الآباء يضغطون أحياناً على أطفالهم من أجل أن يتوقفوا عن تشغيل وعيهم إلى أعماق أبعد مما يريده الآباء. المعلومات التى لدى الأطفال بالفعل حول أحداث معينة يرغب الآباء ألا يكونوا قد لاحظوها أبداً » لإعطاء بعض الأمثلة

التوضيحية جاءت « نورا » من أسرة قُتِل فيها أحد إخوتها ولكن عندما بدأ يصبح هذا الخبر «معروفاً» (معترفاً به فى ذاكرتها الواعية) كان يمثل تهديداً خطيراً فى أن تكون قادرة على تحمله . عند التحقق من أنها عرفت ما كان يفترض ألا تعرفه أصبحت فى حالة اكتئاب وبدينة . الطفل الآخر ، ولد فى عمر ٩ سنوات احتفظ «بالرد» حول الموت الغامض لأخيه . وكما جاء فى تحليل الدراسة ؛ يحاول هذان الطفلان أن «يتطابقا مع رغبات آبائهما ، وذلك باستبعاد تشغيل المعلومات التى لديهما إلى مزيد من التعمق ، وعندما يفعلان هذا ، فإنهما يتوقفان بوعى عن إدراك أنهما قد لاحظا مطلقاً مثل هذه المشاهد ، أو شكلاً مثل هذه الانطباعات ، أو لديهما مثل هذه التجارب ».

عندما يتخلى الفرد عن عدم معرفة سر الأسرة، أو أى شيء من المحتمل أنه أقل ضرراً ، مثل تعلم القراءة ، يتضمن إحداث تغيير ، خطوة إلى المجهول . يعنى التعلم الاضطلاع والتحرك فى اتجاه تحمل مسئوليات مختلفة . تعكس مقاومة التغيير ، التى نعتقد أنها يمكن أن تكون مرغوبة ومرعبة لدى الأطفال ، تعكس الكثير من رغبات آبائهم . رغبة الآباء فى تحقيق حياة متزنة للأسرة ، وخاصة عندما يرغبون فى تحقيق صورة ذهنية للأسرة متطابقة اجتماعياً ، يمكن أن تدفع الطفل إلى أن يقبل التغيير . لافتة « غير لائق » لا يرغب الكثير من الآباء فى أن يوصف بها أحد أفرادها . عندما يربك سلوك أطفالها آخرين ، فإن ذلك بالتأكيد يقابل بعدم الرضا . كما يمكن أن نرى فى حالة « رضا » رعوف التالية ، التى تتناقض – ليس فقط– مع حزن وغضب الطفل ، ولكن مع سلوك والديه أيضاً . قبل أن ندرس بعض أوجه سلوك رعوف عند تفاعله مع اختصاصى العلاج التعليمى ، فإننا نتناول تقييماً لبعض مقاومة آبائه للتعلم .

كان يحضر المقابلات من أسرة المنفلوطى عادة رعوف ، وكلا الوالدين ، اثنان من إخوته الصغار، واثنان من اختصاصى العلاج التعليمى مرة فى كل شهر . كان من أهم معالم هذه اللقاءات التعارض بين السلوك والتصريحات . كان هناك إنكار متكرر بأن الأحاسيس يمكن أن تعطل أو تسهل التعلم . افترضت واحدة من اختصاصيات العلاج أنه على الرغم من أن أداء ابنهم كان على مستوى مرتفع من الذكاء أكبر من الأربعة الكبار الحاضرين «ومع ذلك كان أداؤه الانفعالى فى مستوى

أقل من أخيه الأصغر الذى لم يصل بعد إلى سن المدرسة. وتواصل الاختصاصية حديثها :

« فى مقابلة أخيرة مع الأب « المنفلوطى » ، أصبح غاضباً جداً عندما علم ما أحدثه ابنه من تلفيات فى داخل البيت نتيجة تصرفاته الصبيانية . بالرغم من حالة الاستياء الواضحة من ابنهم أثناء سرد هذه التلفيات ، فقد انضمت الأم إلى الهجوم ، واصفة سلوكه بأنه بلغ الذروة – قد غطى وجهه بالخبز الذى فى يده ، وبدأ يقوم بدور المهرج » . عندما علقنا على كآبة رءوف، طُلب منا أن نتجاهل دموعه؛ لأن هذا يحدث باستمرار.بعد فترة من الصمت المؤلم عبرنا عن قلقنا من عدم وجود أحد من الكبار يستطيع أن يجد طريقة لمساعدة رءوف على الخروج من هذه الكآبة التى يعيشها ، وكم أصابنا هذا بالحزن الشديد. فى هذه اللحظة تقدم الأخ الأصغر إلى رءوف، وقدم له بعض نماذج اللعب من الصلصال . لقد كنا فى حالة إعجاب ورضا بما قدمه هذا الطفل الصغير من تدعيم وفهم .

واحد من الانتقادات الموجهة إلى رءوف كان يتمثل فى اهتمامه ببرامج الخيال العلمى على شاشة التليفزيون، حيث يشعر والده بأن هذه البرامج لا تتفق مع طفل فى مستوى عمر أو ذكاء ابنه . دفعه هذا الاهتمام أن يقضى بعض الوقت فى المكتبة العامة المحلية من أجل القراءة حول الشخصيات الواردة فى البرنامج ، بما يعنى أنه كان يصل إلى البيت متأخرًا بعد المدرسة . دعمت الأم لأول مرة ابنها فى الجلسات ، وقالت: إنه يحاول جاهداً أن يسعد والده الذى استجاب وأنه يستطيع التعامل مع رءوف فقط على المستوى الفكرى . وحينئذ أبدى استغرابه بأن رءوفًا لم يستطع أن يكون أكثر شبهاً بأخيه الأصغر . لاحظناً أن ذلك قد يكون جزءاً من المتاعب ، لأن كلا الوالدين تذكرا محاولات رءوف السلوك على مستوى طفل ما قبل المدرسة والذى تسبب فى تحطيم بعض أمتعة الأسرة . فى هذه المرحلة المبكرة من التدخل لم تكن الأسرة على استعداد لقبول التعليق بأنه ربما لدى رءوف اعتقاد خاطئ أنه إذا تصرف على مستوى طفل ذى ٣ سنوات سوف يتلقى نفس الاهتمام والقبول اللَّذَيْن يحصل عليهما أخوه الأصغر .

استمر الوضع إلى نهاية العلاج التعليمى الفردى مع رءوف والذى كان يجرى أسبوعياً ، – يأتى وصفه فى الصفحات التالية – عندما بدأت تخف حدة مقاومة

الآباء للتعلم . لقد راجع الأب رأيه حول برامج التليفزيون التى يتبعها ابنه بشغف وحيوية ، عندما اكتشف أن العديد من الأطفال فى سنه يجدونها ممتعة . استمرت الاختصاصية التى تعمل مع الأسرة :

• « كانت توجد مراجع أخرى لتعليقاتنا المبكرة التى ذكرناها حول فهمنا لهذا الطفل والتى تم إنكارها سابقاً ، وخاصة من جانب الأب . لقد صنع رءوف نموذجاً لسطح القمر مع اختصاصى علاجه ،والذى اختار فى إحدى المناسبات أن يعرضه على آبائه فى مقابلة مع الأسرة . كانت المعالم الأكثر وضوحاً فى النموذج وجود جبلين يشبهان الثديين فى قلب النموذج ، والتى أرجعها الوالد المنفلوطي إلى الأساطير الإغريقية ».

يقول القائمان على المراجعة: إنهما لم يستطيعا فهم مرجعية الأب للنموذج ، وقالا له ذلك. لقد اقترح فى لقاء تال مع الآباء أن النموذج كان يظهر بصورة غير مباشرة الاهتمام الملائم للأطفال فى مثل عمر رءوف بالجنس الآخر . رفض الأب فى ذلك الوقت الاقتراح بعنف ، ولكن بعد فترة قال: إن مرجعية هذا النموذج كانت صحيحة تماماً ، وأن ابنه قبل بلوغ عمره ١٤ عاماً كان بصورة طبيعية أكثر اهتماماً بالموضوعات الجنسية أكثر من الأساطير اليونانية .

كان معروفاً خلال فترة العمل مع رءوف أنه التحق بنفس المدرسة التى كان فيها والده المنفلوطى ، وأن الأخير كان يكرر ضمنياً أن أداءه كان جيدًا جدًا فى هذه المدرسة . كان يشعر أن ابنه لا يمكنه أن يصل إلى مستوى عال جداً ، على الرغم من أن أداءه يمكن أن يكون جيدًا فى الجامعة. فى المقابلة الأخيرة مع الأسرة كان تعليق المعالجين :

« لقد أخذتنا الدهشة عندما اعترف المنفلوطى بأدائه المتوسط فى المدرسة ، وحقيقة أنه لم يكن « طالباً جامعياً. . جاءت الدهشة الكبرى فى الدقائق القليلة الأخيرة فى هذا اللقاء. شعرنا بأننا لم نكن ناجحين فى تجنيد التدعيم من هؤلاء الآباء لإعطاء رءوف استقلالية أكبر تتفق مع عمره ، على الرغم من أنه أدار هذا بصورة ظاهرة بنفسه . لقد عرض عليه اختيار العودة إلى تعاقد موجز إذا ظهرت مشكلات فى المستقبل ، ومرة أخرى تمت مناقشة هذا . تجاهل المنفلوطى كلا منا

واتجه إلى ابنه : « حسناً ، رءوف هذا عرض كريم ، ولكن فى الواقع أن هذا موضوعك وقرارك الآن . عندما تشعر فى أى وقت فى العام القادم أنك فى حاجة إلى المساعدة فيما يتعلق بالعمل المدرسى ، أو مجرد أنك تريد التحدث إلى شخص ما تستطيع أن تتصل تليفونياً بالسيدة / ..... أو السيد / .... لتأخذ موعداً بالمقابلة ، ليس هناك حاجة إلى أن تسأل والدتك أو تسألنى» .

خلال فترة العلاج التعليمى كان رءوف يحصل على أقصى درجات التدعيم من أحد مدرسيه الذى أصبح « شخصية التعلق المحددة » بالنسبة له . ومع ذلك ، لم يكن هذا بمفرده تدعيماً كافياً لرءوف . عملت شخصية التعليق عن قرب مع فريق العلاج التعليمى ، وكانت تحاول تصحيح الأفكار المسبقة إذا كانت سلبية عن رءوف لدى بعض أعضاء هذا الفريق. هنا ، أدرك رءوف عن وعى التأثيرات التى يمكن أن يحدثها سلوكه الاندفاعى على الآخرين. لقد بدأ يفرق بين السلوك الصبيانى الذى يلائم طفلاً فى عمر ٣سنوات الذى كان يسلى الناس ، وذلك الخاص بالطالب فى سن المراهقة الذى أغضبهم ، وسبب له الضيق .

يقول المعالجان: إنهما لم يفصلا المجهود الشاق مع والدة رءوف التى استخدمت التليفون لتنقل إلينا أحاسيسها . على الرغم من أنها " بداية " قاومت أيضاً التعلم من أجل التغيير ، والذى من المحتمل أنه جاء انطلاقاً من إخلاصها لآراء زوجها ، فإنها تعلمت أن تستجيب على نحو أكثر استقلالية ، وأنها استطاعت أن تثق برءوف. لقد أصبحت أكثر انفتاحاً وصراحة وقادرة على فحص الأحاسيس المؤلمة المرتبطة بالتغيير فى طفولتها الذاتية» .

رءوف :

تعطى اختصاصية العلاج التعليمى التى عملت مع رءوف مؤشرًا عن عمق أحاسيسه حول نفسه والتعلم . كان يبدو أيضاً أنه دخل مصيدة البندول الذى يتحرك فى اتجاه المراهقة « أعطى رءوف الانطباع بأنه قد أخذ دور الأستاذ الذى غاب عقله . ارتدى الملابس التى كانت تبدو بعيدة كل البعد عن جسمه، ونظارته دائمًا مستقرة فى توازن مع آخر أنفه . إنه يتكلم سريعًا جدًا عندما يطلب منه الكلام ، ولكنه يكون مترددًا عندما يتوقع اختبار موقف يتعلق بأحاسيسه» .

« إننى أعرف أن تقييمه النفسى وضعه على قمة مستوى الذكاء لمجموعته العمرية . لاحظ اختصاصى علم النفس التربوى أن رءوفًا قد وجد أن بعض الاختبارات تحمل له تحدياً فكرياً ، ولكن مع الاختبارات المفتوحة وغير المهيكلة الأخرى أصبح قلقاً ، وأداءَه كان أقل جودة ، على الرغم من أنه قد قيل له: لا توجد إجابات صحيحة وأخرى خاطئة . إنه غالباً يتصرف بطريقة اندفاعية تحد من أدائه. إن عمره فى القراءة يفوق عمره الزمنى ، ولكن التقييم أكد على القلق حول أخطاء التهجئة والكتابة ، إنه لم ير أى ارتباط بين القراءة والتهجئة» .

« فى جلستنا الأولى فحص رءوف محتوياتِ صُندوقه ، ولكنه قال: إنه لم يكن من المحتمل أن يحتاج إلى مثل هذه الأشياء أبداً . بدأت عملى بإعطاء رءوف تمارين تهجئة وكتابة إملائية . وفرت هذه هيكلاً استطاع من خلاله تعلم كيف ينظم الأشياء فى كل جلسة. كانت هناك فترة غير مجدولة تسمح له بمواجهة الإحساس بالعجز الذى يتولد من الجلسة . كان يتصارع حول القرارات ، وحينئذ أصبح مستاءً من تبديد الجلسة عندما يهرب إلى عالمه من التفكير الذى يدور حول الثقوب والمساحات ، وذلك عن طريق الرسم أو التحدث مع نفسه . استمر هذا إلى أن فكرت أن رءوفًا كان يستطيع اللعب فى وجودى ، حيث إن وقته غير المجدول أصبح أقل تهديداً . يرى أحد الخبراء أنه عندما كان يمارس العلاج التربوى بنجاح، كانت إحدى مهام التدريس تتمثل فى تدعيم بيئة الطفل الخارجية . إنه رأى الطفل ذى الأداء السَّيِّئ فى ذاته على أنه يبدو متحركاً من عالمه الحقيقى إلى عالمه الخيالى ذهاباً وإياباً . إنه يشعر أيضاً بأنه إذا تحققت بعض الأهداف من خلال استخدام هذا التدخل العلاجى ، فإن حاجة الطفل إلى ملجئه الداخلى فى ذاته تقل، لأن تحكمه فى عالمه الخارجى يزداد ».

تواصل اختصاصية العلاج :

« أثناء اكتشاف بعض الكلمات التى وجد صعوبة فى تهجئتها ، أثنيت على رءوف من أجل مهاراته فى القراءة . اعترف بأنه يخمن الكلمات ، لقد كان « بطيئاً جدًا فى تعلم القراءة » . قدمت له مباراة فى الحروف الملونة لمساعدته على التحكم فى قواعد التهجئة . عندما بدأ ممارسة هذه القواعد ، أخذ رءوف بعض المكعبات

الملونة من حقيبته لمساعدته على تصحيح التهجئة . أبدى دهشته بأن الوقت قد مر سريعاً عندما أخبرته بقرب انتهاء الجلسة . أعاد ترتيب محتويات صندوقه ، وطلب منى الاحتفاظ به سليمًا إلى الأسبوع القادم . كانت هذه هى الأمارة الأولى للتعبير عن أهمية محتويات الصندوق بالنسبة له» .

« سرعان ما اكتشفت أن أداء رءوف فى عمل المهارات الأساسية كان متأثرًا بمعنى الكلمات التى كان عليه تهجئتها ، وأن هذا ربما يفسر جزئيًا مقاومته لتعلمها. لاحظت أنه لا يستطيع قراءة ، أو تهجئة أو كتابة بعض الكلمات . عندما وضعت هذه الكلمات فى جمل ، ظل لا يستطيع قراءتها. من الأمارات الواضحة التى يثيرها سياق هذه الكلمات لدى رءوف، ولذلك بدأت أقرأ هذا الجُمل بصوت عال، وطلبت منه تكرارها ورائى وبنفس الصوت . اندفع رءوف فى الحال إلى كتابة قائمة كلمات جديدة واضحة تماماً. كان تعليقى ، بأننى أعتقد أنه يبدو أن لديه نزعة للهروب من الجملة ، وربما بعض الكلمات تحمل إليه معنى خاصًّا . لقد بدأ يبطئ فى سرعة كتابته، وبدأ فى التنقيب عن شيء مّا بين أقلامه ، قائلاً « لقد تبعثرت بفعل شخص ما » . عاد إلى قائمة كلماته ثم قال : « كل شيء يبدو مرتباً هذه الأيام»، ثم أشار إلى المعارك الصامتة التى اضطلع بها فى البيت ، عندما كانت الأشياء تنقل من حجرته وتحطم بدون علمه . ثم استمر فى التحدث عن الدوائر الكهربائية التى تحمل بأكثر من طاقتها مما أدى إلى إظلام المدينة . لقد قبل تعليقى بأننا أحياناً نخاف ، يجب أن نصبح فى حالة غضب لأن أحد المصاهر fuse سوف ينفجر والذى يمكن أن يخرب أشياء إلى الأبد، أو أننا عندما نحارب بعنف قد نفسد شيئاً ما خاصًّا ونجعله يتوقف عن العمل. عندما كانت تعرض عليه مباريات فى الكلمات ، كان يعبر عن دهشته من أنه استطاع أن يتمتع بمثل هذه المباريات . كان لا يستطيع أن يحب الحرف " ل " كان يصفه بأنه عصا جَدِّه . عندما وضع الحروف رأساً على عقب بدون ترتيب معين ، قال « نعم » إننى أصنع نماذج جديدة. تغيب عن إحدى الجلسات نتيجة سوء فهم والديه . كنت أشعر بالاعتزار بما اعتبره ثورة شاب مراهق . « إننى أعرف ذلك ، إننى كنت على حق ، ذلك يتكرر منهما باستمرار ، لقد حدث الخطأ منهما مرة أخرى ! « أدى هذا الهيجان أيضاً إلى اعترافه الأول بأنه كان فى حالة اضطراب ذهنى ، وذلك فى بداية الجلسة التالية» .

لقد ساعدت خصائص الجذب المغناطيسية رءوفاً أن يكتشف ويناقش الأحاسيس المتناقضة» .

« لقد ساد الشك فى واحد من اجتماعات الأسرة المشتركة حول قطعة من كتابات رءوف . كانت ملاحظة والدته ، إنها تبدو جيدة جداً ، . لقد دعمت جهوده وعلقت على صعوبة رؤية الأشياء بطريقة جديدة ، حيث كانت على نحو متشابه على مدى فترة زمنية طويلة . فى الجلسات الفردية التالية رفض رءوف مناقشة لقاء أسرته معى . لقد أصبح مصرًا أكثر وأكثر على لعب مباراة تتضمن الحروف الإنجليزية البلاستيكية . فجأة توقف، وبدأ يحرك الحروف حول المنضدة . قد بدأ يضع الحروف الإنجليزية الكبيرة بهذا الترتيب IOU . شعرت أنه ربما كان يعبر عن بعض الامتنان لى لتدعيمى له فى لقاء الأسرة (لأن نطق هذه الحروف يعنى ،إننى مدين لك » . استمر رءوف فى عبثه مع الحروف ، وتحدث كثيرًا عن الحروف التى يجب أن تتفق مع حروف أخرى ، والتى اعتقدت أنها كانت مؤشرًا مرجعياً غير مباشر عن نفسه التى كان أيضاً يرى أن عليه أن يتمثل ويتفق مع آراء ورغبات أسرته .

« بعد هذه الجلسة أحاسيسه حولى – وأنا أرى أطفالاً آخرين – أخذت فى الارتفاع . كان قلقاً خشية ألا تتاح له مساحة من وقتى عندما أرى الكثير من الأطفال الآخرين . حتى إذا توفرت هذه المساحة ، هل سوف أكون قادرة على العناية به وقبوله على نفس المستوى مع الأطفال الآخرين ؟ حدث هذا التبادل قبل فترة الاستراحة مباشرة» .

« تغير محتوى الجلسات بعد هذه الاستراحة ، وأخذ رءوف يرسم الكثير من الأسلحة . فى واحدة من المناسبات قبل نهاية الجلسة مباشرة أصر رءوف على أن لديه الوقت لرسم وجه ، نصفه كان مبتسماً ، والنصف الآخر يحمل تعبيراً مرتبكاً(*) . لقد وافق بسهولة على أن هذا الشكل يشبهه ، له أحاسيس متزدوجة حول البقاء والذهاب فى نهاية كل جلسة . لقد كان حينئذ قادراً على إظهار متعته

(*) انظر الأشكال التى تعبر عن انفعالات الطفولة فى الفصل الثاني.

فى اللعب بالكلمات ، على سبيل المثال قام بتشكيل كلمة «انطلاق » قائلاً فيما بعد فى المباراة أنه « قد انطلق نحو القيادة » .

«عندما كان علىَّ أن ألغى إحدى الجلسات ، كان يصر على التحدث عما يعنيه هذا بالنسبة له . كان يقول بصورة متكررة إن المسألة لا تهم ، وان كلامه لن يغير الموقف . « كل شيء راح وانتهى ولذلك انس هذه المسألة . « أدى التعبير عن حزنى وغضبى الخاص بالنسبة إلى إلغاء الجلسة ، إلى مناقشة خطة مشتركة لإنهاء عملنا معاً فى خلال ٣ أشهر» .

كان رفض رءوف لمحتويات صندوقه فى بداية التدخل علامة متناقضة مع أحاسيسه حولها فى النهاية . فى الجلسة الأخيرة ، جمع بحرص شديد نماذجه ، نظر إلى قوائم التهجئة والرسومات التى كان يتدرب عليها ، ثم قضى بعض الوقت يحكم إغلاق الصندوق ويربطه بخيوط قوية . كان يبدو كما لو أنه يضع الكثير من أجزاء نفسه الخارجة على سلطته وإدارته فى داخل الصندوق لكى تكون فى مكان آمن وسليم . إننى أتساءل مع نفسى إذا كان هذا يمثل الأمل فى أنه يستطيع التحرر للاستفادة من حالات ذهنه «المتغيرة» والتى تبدو الآن متاحة له. تحدثت عن الحاجة إلى إغلاق الماضى فى صندوقه ، ولكننى ذكرته بأن الماضى سوف يحتفظ بمجموعة من الأحاسيس التى لا يمكن أن تمحى ، ولكن يمكن استخدامها كنقطة مرجعية منها ندرس الحاضر وربما حتى المستقبل .

« فى المقابلة النهائية مع الأسرة ، عندما قال الوالد لرءوف إنه يستطيع أن يجرى ترتيباته الذاتية للعودة إلى مركز العلاج التعليمى دون حاجة إلى أخذ رأى آبائه ، التفت رءوف إلىّ وقال مبتسماً : « سيدتى العزيزة ، لا أعتقد أننى سوف أحتاج ذلك الصندوق مرة أخرى ».

لابد أن حالة رءوف والأطفال السابقين تثير لدى القارئ سؤالاً مهماً حول كيفية فهم وإدارة الصعوبات السلوكية والانفعالية لدى أطفالنا بصفة عامة، والطلبة بصفة خاصة يجيب الفصل الخامس على هذا السؤال .